

الجاردیان: المناوشات المروعة بين إسرائيل وإيران ووكلائها لن تجلب إلا المزيد من الموت والكوارث



الخميس 3 أكتوبر 2024 06:38 م

كان الهجوم الصاروخي الإيراني على إسرائيل أول أمس تصعيدًا كبيرًا في الصراع بين الدولتين ووعدت إسرائيل بالرد، والذي قد يشمل ضربات مباشرة على طهران ومع ذلك، فإن الجبهة الأكثر نشاطًا في الصراع في المنطقة لا تزال على الحدود الإسرائيلية اللبنانية، حيث تغزو القوات الإسرائيلية جنوب لبنان.

جاء هجوم إيران في أعقاب مقتل الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله على يد إسرائيل الارتباط الوثيق بين إيران وحزب الله يعني أنها مستثمرة بعمق في نتيجة الصراع في لبنان في الوقت نفسه، وبينما تقدم إسرائيل الغزو باعتباره عملية برية محدودة وقصيرة الأمد، فإنه يمثل تصعيدًا كبيرًا لصراعها مع حزب الله، فضلًا عن التزام ضخم بالموارد العسكرية التشابك بين الجبهتين اللبنانية والإقليمية سيؤثر على أمن لبنان في الأمد البعيد - ولكن أيضًا على أمن إسرائيل لم يتعرض حزب الله في أي وقت منذ إنشائه للهجوم على مستويات متعددة في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن وبمثل هذه الخسائر العالية في غضون أسبوعين، أخضعت إسرائيل المجموعة لحرب هجينة، ودمرت مواقعها العسكرية الرئيسية واغتالت كبار قادتها ونصر الله.

طوال الوقت، تعهد حزب الله بالبقاء في وضع التحدي حتى مع تقليص قدراته الأمنية والاتصالية والعسكرية بشكل كبير أصرت إسرائيل في تصريحاتها العامة على أنها ليست في حالة حرب مع شعب لبنان، بل مع حزب الله فقط، ومع ذلك فإن عمل إسرائيل يخطر بجر لبنان نحو عدم الاستقرار.

لبنان بالفعل على شفير الهاوية بسبب الحساسيات الطائفية منذ تأسيس لبنان كدولة حديثة، جعل النظام السياسي البلاد عرضة لهذا الصراع ويستند التمثيل السياسي إلى تقاسم السلطة بين الطوائف، ولكن بدلاً من خلق الاستقرار، لم يفعل النظام سوى تغذية المنافسة على السلطة وبعد أن مرت البلاد بالعديد من دورات العنف في الماضي، تشعر النخبة الحاكمة بالقلق من أن اغتيال نصر الله قد يكون شرارة جديدة للصراع وكانت التصريحات المدروسة عن نصر الله من قبل خصومه السياسيين اللبنانيين في أعقاب اغتياله بمثابة محاولة لمنع الصدامات التي قد تتخذ طابعاً طائفيًا.

ولكن بعد ذلك جاء الغزو البري الإسرائيلي، والذي يعمل في الأمد القريب على حشد الشعب اللبناني ضد إسرائيل وذلك لأن الغزو بالقوات البرية يختلف إلى حد كبير عن الحملة الجوية الأكثر كثافة وهناك شيء غريزي في الأمر بالنسبة للشعب اللبناني، فإن رؤية إسرائيل تتسلل إلى أرضهم مرة أخرى جلبت معها الغضب واليأس اللذين كانا يأملان أن يكونا جزءًا من الماضي غير البعيد، عندما خاضت إسرائيل وحزب الله آخر حرب شاملة بينهما في عام 2006.

قد تهدف إسرائيل من خلال غزوها البري إلى كسر روح حزب الله، لكنها في الواقع تكسر الروح اللبنانية حتى أشد معارضي حزب الله عنادًا في لبنان يرفضون فكرة "التحرر" من حزب الله - كما تدعي إسرائيل - على أيدي الاحتلال إن الإذلال والغضب بين سكان لبنان لا يمثلان طريقًا للسلام مع إسرائيل.

في الأمد المتوسط والبعيد، هناك خطر أن يلقي التاريخ بظلال قاتمة لقد أدت غزوات إسرائيل السابقة، وخاصة في عامي 1982 و 2006، إلى إحداث شرخ بين المجتمعات اللبنانية، مما أدى إلى تأجيج التوترات الطائفية والسياسية.

لقد أضاف غزو عام 1982 إلى ويلات الحرب الأهلية الطائفية في لبنان، في حين استخدم حزب الله نجاحه في عام 2006 ضد إسرائيل لإعلان التفوق السياسي في لبنان؛ وفي عام 2008، نشرت الجماعة مقاتليها في بيروت لترهيب معارضيها، مما أثار مخاوف من اندلاع حرب أهلية أخرى والآن يواجه زعماء لبنان، الذين كانوا يحاولون إخماد الحرائق بعد مقتل نصر الله، احتمال اندلاع موجة أخرى من الصراع الأهلي مع نزوح مليون شخص، معظمهم من الطائفة الشيعية الجنوبية، إلى مناطق يسكنها مجتمعات أخرى.

ورغم أن الناس العاديين والمجتمع المدني يكتفون جهود الإغاثة، فإن حجم الأزمة الإنسانية غير مسبوق، في حين عجزت الدولة اللبنانية المفلسة إلى حد كبير عن تقديم حتى الخدمات الأساسية للنازحين وكلما طال أمد الحملة العسكرية الإسرائيلية، كلما زادت احتمالات تفاقم التوتر الطائفي مع اقتراب فصل الشتاء، ونضوب الموارد، ونمو غضب الناس ويأسهم.

كما يجد لبنان نفسه مرة أخرى ملعباً للجهات الفاعلة الإقليمية وهذا يجلب معه سبباً محتملاً آخر لعدم الاستقرار ومع تصعيد إسرائيل وإيران لمواجهتهما العسكرية المباشرة، أصبح خطر الحرب الإقليمية أعظم من أي وقت مضى ومع وضع إيران في اعتبارها أن حزب الله خط المواجهة، فإن إيران تتجه إلى تصعيد المواجهة العسكرية مع إيران.

كما يجد لبنان نفسه مرة أخرى ملعباً للجهات الفاعلة الإقليمية وهذا يجلب معه سبباً محتملاً آخر لعدم الاستقرار فمع تصعيد إسرائيل وإيران لمواجهتهما العسكرية المباشرة، يصبح خطر الحرب الإقليمية أعظم من أي وقت مضى ومع اعتبار إيران لحزب الله خط المواجهة للدفاع عن نفسها، فقد ينتهي الأمر بلبنان إلى القتال من أجل نفسه ومن أجل إيران.

تأثر لبنان دوماً بالتطورات الإقليمية في الشرق الأوسط ولكن مع هذا المزيج المعقد من التحديات، فإن استقرار البلاد مهدد بشدة فالعقبات الاقتصادية تندمج مع التوترات الطائفية المحتملة ويتشابك الأمن الوطني مع الأمن الإقليمي ومع إشارة كل من إسرائيل وحزب الله إلى رفضهما التراجع، يُصب المزيد من الزيت على النار كل يوم.

قد تعتقد إسرائيل أن سحق حزب الله عسكرياً هو السبيل لضمان الأمن لمنطقتها الشمالية ولكن الأزمة في لبنان تثير ناقوس الخطر بشأن الاستقرار الطويل الأجل هناك فالفقر والغضب يشكلان دائماً وصفاً للكارثة في أي دولة.

عدم الاستقرار الداخلي في لبنان لن يبشر بخير بالنسبة للأمن القومي الإسرائيلي، خاصة وأن حزب الله لن يختفي حتى لو تغلبت عليه إسرائيل عسكرياً، وإذا أخذنا في الاعتبار أنه استخدم باستمرار إطار "المقاومة" ضد إسرائيل كأحد أدوات تأكيد القوة داخل لبنان وإذا كان هذا الصراع قد أظهر أي شيء، فهو أن الأمن الداخلي والأمن الإقليمي متشابكان.

<https://www.theguardian.com/commentisfree/2024/oct/02/this-terrifying-tit-for-tat-between-israel-iran-and-its-proxies-will-only-bring-more-death-and-disaster>